المحاضرة التاسعة

مراجعة المحاضرة السابقة
فنون العمارة الإسلامية الدينية
مراجعة المحاضرة السابقة

- العمليات الجراحية في عصر الزهراوي
- ابن زهر
- ابن النفيس
- الصيدلة وعلماء المسلمين
- فضل الأطباء المسلمين على الحضارة الأوربية

العمارة الدينية

- عناصر المحاضرة

- مقدمة
- المساجد
- مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
- جامع عمرو بن العاص
- المسجد الجامع بالقيروان
- الجامع الأموي بدمشق
- المسجد الجامع بقرطبة

– مقدمة

- تعد العمارة الإسلامية من أهم الانجازات الحضارية باعتبارها تعبيراً صادقاً عن العصر الذي اقيمت فيه.
- خضعت العمارة الإسلامية عبر الحقب التاريخية لعوامل دينية وسياسية واقتصادية وجغرافية أثرت فيها منذ بدء ظهورها وساعدت على تشكيل صورها وعناصرها، إلا أنها تميزت بصفة عامة بالبساطة في التخطيط العام.
- وقد تعرضت الزخرفة لقانون التطور من جهة وللتقاليد المحلية من جهة ثانية وللمؤثرات الوافدة من جهة ثالثة.
- **العمارة الدينية:** روعي في المنشآت الدينية أن تلبي حاجة المسلمين من حيث توفير المناخ الملائم لصلاة خاشعة، فكانت الأفقية تسود نظام المساجد تعبيراً عن صفوف المصلين المتلاصقة والمتلاحمة، كما أن نظام الفتحات والواجهات المطلة على الصحن تهيئ المسلم للوقوف خاشعاً. كما يؤدي الضو المتسلل للداخل إلى إثارة الشعور بالرهبة والاحساس بالجلال للمصلي.
- **العمارة المدنية:** أما العمارة المدنية فكانت الظروف الوظيفية لكل منها تتيح المجال للانتفاع الكامل بعناصرها التي اقيمت من أجلها، فكان المعمار يوفر للدار كل المقومات الأساسية لحياة أسرية مستقرة تسودها الطمأنينة والترابط العائلي والاجتماعي.
- كما كان يوفر للخوانق والأربطة المناخ المناسب للاحساس بالتعبد والانقطاع وللمدارس ودور العلم ما يساعد على تلقي العلم وتحصيله وللخانات ما يهئ للتاجر النزيل السبيل لتحقيق ما قدم من أجله وللقلاع والحصون ما يوفر للمجاهدين والمدافعين البيئة الملائمة للقتال والدفاع.
- وقد ترك لنا المعماريون المسلمون نماذج متعددة من الأبنية متنوعة التخطيط لخدمة أغراض دينية مثل المساجد والأربطة والخانقاوات والأضرحة أو مدنية مثل الدور والمدارس والمنشآت التجارية من وكالات وخدمات وفنادق وأسواق ومنشآت المنافع العامة مثل الحمامات والمستشفيات والقناطر والجسور والعمارة الحربية مثل القلاع والأبراج والأسوار.
- تتميز العمارة الإسلامية بوحدات وعناصر خاصة بها، فالعمارة الدينية تتميز بالمآذن والقباب والشرفات المتوجة للجدران الخارجية والمحاريب والبواتك والأروقة.
- وتتميز العمارة المدنية بقاعاتها ومجالسها المختلفة وقبواتها.
- بينما تتميز العمارة الحربية بأبراجها المختلفة والسقاطات والباشورات.

- وقد استخدم في تنميق العمائر وتزيينها سواء من الداخل أم من الخارج أساليب كثيرة، ومن أهم الزخارف المقرنصات. وقد ظهرت المقرنصات بكثرة في مداخل العمائر السلجوقية والمملوكية في المآذن وفي بعض القباب من الداخل وفي تيجان الأعمدة.
- ومن انواع الزخارف المعمارية أيضاً تنظيم وضع أحجار البناء أو الطوب وفق اشكال هندسية .
- ومن الأساليب التي استخدمها المسلمون في زخرفة العمائر تغشية الجدران بالفسيفساء الزجاجية ويتمثل ذلك في قبة الصخرة ببيت المقدس أو الجامع الأموي بدمشق أو المسجد الجامع بقرطبة، او كسوة الجدران بألواح من الرخام كما في مدرسة السلطان حسن بالقاهرة. أو بكسوات حجرية كما في قاعة القصور بمدينة الزهراء بقرطبة. أو تغشية الجدران بألواح من الجص المزخرف بالحفر كما في قصور سامراء وفي قصر الجعفرية بسرقسطة وقصور الحمراء بغرناطة او بالرسم بألوان مائية كما في قصر عمرة بالأردن والجوسق الخاقاني بسامراء.
- كما استخدمت في زخرفة العمائر افاريز الخشب نقشت عليها زخارف نباتية وكتابية أو صور آدمية وحيوانية (في القصر الفاطمي في القاهرة) وكانت الأبواب الخشبية للعمائر تكسى عادة بصفائح البرونز المرقش بالزخارفن بينما كانت النوافذ بألواح الجص المخرم بأشكال زخرفية ويغطي الزحارف زجاج ملون.
- وكانت النافورات تزود بقصاع تسمى بالأحواض الرخامية وتزدان جوانبها بصور آدمية وحيوانية منقوشة على الرخام. وقد تكون هذه الأحواض أحياناً مستطيلة الشكل وقد تكون مستديرة تحفها بعض التماثيل صغيرة لبعض الحيوانات والطيور كالتي عثر عليها في آثار مدينتي الزهراء وقرطبة.
- وقد تحمل القصعة أحياناً على ظهور أسود من الرخام كالتي في بهو السباع بقصر الحمراء بغرناطة.
- بالاضافة إلى ذلك كانت المنشآت الإسلامية في عصر المماليك تزدان بوزرات الرخام الملون وأحياناً تنقش بداخلها رنوك تمثل وظائف الأمراء.
- درج المهندسون المسلمون (العريف أو المعمار) باخفاء أسمائهم في معظم الأحيان تواضعاً إلا أنه بالرغم من ذلك فقد ذاع صيت بعض المهندسين مثل سنان الذي كان له فضل ظهور طراز معماري متميز بدأ في المساجد المقامة في تركيا وشاع هذا الطراز في معظم الأقطار الإسلامية فيما بعد كما ذاع أيضاً صيت عريف العرفاء في الأندلس أحمد بن باسة.

المنشآت الدينية

- **المساجد: أهمية المساجد**

– أول مسجد بني في الإسلام هو مسجد قباء ثم تلى ذلك مسجد المدينة الذي كان تخطيطه الأساس الذي أعتمد عليه النظام التخطيطي لمساجد الإسلام في العصور التالية.
– ذهب بعض المستشرقين إلى أن تخطيط المسجد مأخوذ من المعابد المصرية ومنهم من أرجعه للبزيلكيا الرومانية بينما ذهب فريق ثالث إلى أنه مأخوذ من كنيس اليهود.
– **مزاعم بعض المستشرقين:.** لكن من خلال تتبع تاريخ بناء الجامع يمكن القول بأن التخطيط المتبع جاء محققا لما اقتضته البيئه المحيطه بالجامع حيث كان في البداية صحن مركزي مكشوف و سقيفتان احدهما شماليه نحو بيت المقدس و الاخري جنوبيه نحو المسجد الحرام ثم بدأ الربط بينهما من خلال مجنبتين تحفان الصحن حيث يستظل بها المصلون و كان الصحن هو مصدر الضوء و تجديد الهواء لبيت الصلاه الفسيح و بالتالي فإن هذا هو اساس تصميم الجامع و ليس النقل عن اي حضاره.

- **المساجد**

– و قد اتخذ مسجد النبي في البدايه على هيئة مربع تحيط به جدران اقيمت أسسها بالحجارة بينما رفعت جدرانه من اللبن. بعد ذلك واعتبر هذا اساس لبناء الجاماع سواء في المشرق او المغرب و من امثلة ذلك : مسجد البصره عام 45 هـ - مسجد الكوفه 50 هـ – ثم جامع القيروان الذي اسسه عقبة بن نافع في 55هـ وجامع قرطبة الذي أنشأه عبد الرحمن بن معاوية 169هـ وجامع سامراء الذي شيده المتوكل قي 237 هـ وكذلك جامع أحمد بن طولون 253-265 هجريا.

- كانت هذه المساجد تتميز بالبناء الاساسي لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان تخطيطها يتراوح بين المربع والمستطيل غير ان بعضها كان به زيادات علي جدرانه الخارجيه (عدا القبله) و عدد الاروقه في بيت الصلاة و المجنبات و كذلك اتجاه صفوف الاعمده التي تفصل بين الأروقة باختلاف اتساع بيت الصلاة.
- فبيت الصلاة في الجامع الأموي بدمشق 88-96هـ يضم ثلاثة أروقة موازية لجدار القبلة يقطعها في الوسط رواق تتجه عقوده عموديةعلى جدار القبلة يطلق عليها اسم المجاز القاطع الذي كان يؤدي مباشرة إلى المحراب. ووظيفة المحراب في المسجد أن يركز اتجاه القبلة.
- واذا استعرضنا المساجد نجد أنها لاتختلف في تخطيطها عما ذكرنا فيما سبق وان كانت تختلف في عدد الأروقة أو في اتجاه البواتك، فنجد مثلاً المسجد الذي بناه ابوجعفر المنصور في عام 155هـ فقد كان به ثلاثة أروقة توازي جدار القبلة على غرار جامع دمشق، أما مجنبات المسجد فكان كل منها يتكون من رواقين.
- أما الجامع الأقصى في بيت المقدس فقد كان يضم خمسة عشر رواقاً وكان الرواق الأوسط يراعى فيه أن يكون أكثر اتساعاً من بقية الأروقة وقد قلد هذا الطابع من التخطيط في المسجد الجامع بالقيروان والمسجد الجامع بقرطبة بالأندلس الذي شيده عبد الرحمن الأموي وكان بالجامع عند انشائه يشتمل على تسعة أروقة (تعرف في المغرب والأندلس بالبلاطات) ثم تمت اضافة بعض البلاطات في فترات لاحقة وقد روعي في هذه البلاطات أن يكون البلاط الأوسط اكثر اتساعاً من بقية البلاطات.
- واذا نظرنا إلى جامع القيروان بعد اعادة بنائه في عام 221هـ على يد زيادة بن الأغلب يتفق في نظامه التخطيطي مع نظام الجامع الأقصى من حيث اتجاه بلاطاته عمودياً على جدار القبلة ويشارك في ذلك جامع أبي دلف الذي شيده الخليفة المتوكل عام 247هـ.
- وهنالك بعض المساجد تمتاز بأن عقودها تجمع بين التعامد على جدار القبلة والاتجاه في موازاة هذا الجدار كما في المسجد الجامع بمدينة سوسة الذي شيد 236في هـ وكذلك مسجد أبي فطاطة في تونس.
- فالنظام التخطيطي للمساجد اتخذ طابعين: طابع يتبع نظام الجامع الأموي بدمشق، وتتميز أروقته بأنها توازي جدار القبلة. وطابع يتبع نظام الجامع الأقصى تمتد عقوده عمودية على جدار القبلة، وهذان النظامان يشكلان أوجه الخلاف في جميع المساجد الجامعة بالعالم الإسلامي.
- وقد استمر نظام التخطيط للمساجد الجامعة في مختلف العصور الإسلامية ومن أمثلة ذلك الجامع الأزهر بمصر 359 ه – 361هـ وجامع الحاكم بامر الله 380-402ه ومسجد الظاهر بيبرس ومسجد الناصر محمد بالقلعة.

ومن المساجد التي تأثرت بتخطيط المسجد النبوي بالمدينة المسجد الجامع بسمرقند والمسجد الأزرق بمدينة تبريز والمسجد الجامع بأصفهان ومسجد قوة الإسلام في دلهي.

وفي العصر العثماني احتفظت المساجد الجامعة بالمظهر العام من حيث النظام التخطيطي التقليدي الذي يقسم المسجد لصحن مركزي وبيت للصلاة وبجنبات تطل على الصحن وإن كانت تختلف من حيث التفاصيل كما في مسجد السلطان أحمد وجامع سليمان باشا باستنبول وجامع محمد علي بالقاهرة.

- **المساجد: المسجد النبوي**

- بني مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الموضع الذي بركت فيه ناقته، وكان مكان المسجد لغلامين يتيمين من بني النجار اشتراه منهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد شارك النبي صلى الله عليه وسلم في بناء المسجد.
- كان بناء السمجد بسيطاً حيث كان على شكل مربع وكانت جدرانه من اللبن ولم تكن به في وقت بنائه سقيفة يستظل بها المصلون ثم استجاب النبي صلى الله عليه وسلم لطلب اصحابه في اقامة ظلة تحميهم من حرارة الشمس. أقيمت أول سقيفة في الجانب المطل على الشمال وكانت أعمدتها من جذوع النخل وسقفها بالجريد المغطى بالطين.
- وكانت القبلة تتجه إلى الشمال نحو بيت المقدس إلى أن تحولت إلى الجنوب نحو مكة بعد ستة عشر شهراً كما اضيفت للمسجد سقيفة أخرى في الجانب الجنوبي واصبح مابين السقيفتين رحبة فسيحة مكشوفة تعرف بالصحن الجامع. أما السقيفة الأولى الشمالية فقد اتخذت لإيواء أهل الصفة. وقد ارتبطت السقيفتان بمروز الزمن من طرفيهما الشرقي والغربي بمجنبتين حتى تزيد مساحة الجزء المسقوف من المسجد.

- وقد تعرض المسجد لكثير من أعمال التوسعة والزيادة في خلافة عثمان بن عفان وفي العصر الأموي في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي أعاد بنيانه وزين جدرانه بالفصوص والفسيفساء واقام له أربعة مآذن في أركانه الأربعة وقد تم ذلك عندما كان عمر بن عبدالعزيز عاملاً للوليد على المدينة.
- وقد خضع المسجد لكثير من أعمال التعمير والأضافة في العهود اللاحقة لاسيما ما قام به الخليفة العباسي المهدي 160هـ وما قام به السلطانان بيبرس والاشرف قايتباي في العصر المملوكي. كما تواصلت عمليات التوسعة والتعمير في العهد العثماني.

- **المساجد: جامع عمرو بن العاص**

- انشأه عمرو بن العاص سنة 21هـ/642م بعد فراغه من فتح الأسكندرية ويعرف بالجامع العتيق أو تاج الجوامع باعتباره أول مساجد مصر في العصر الإسلامي.
- خضع للعديد من الزيادات والتوسعات مما أدى إلى طمس معالمه الأولى ولم يبق منه سوى البقعة التي أسس عليها. وكانت آخر زيادة لحقت به في عهد الأمير مراد بك 1212هـ/1797م.
- وقد ورد وصف هذا المسجد في العديد من المصادر العربية ابرزها ما ذكره الرحالة الفارسي ناصر خسرو علوي الذي زاره في حدود 439هـ/1048م ومما جاء في وصفه أنه قائم على اربعمائة عمود من الرخام. وأن الجدار الذي عليه المحراب كان مغطى بالرخام الأبيض الذي نقشت عليه آيات القرآن الكريم بخط جميل. وكان يحاط من جهاته الأربع بأسواق تفتح على أبوابه وأنه كان يوقد به في ليالي المواسم أكثر من سبعمائة قنديل وكان يفرش بعشر طبقات من الحصير الملون بعضها فوق بعض.
- كما وصف ابن سعيد المغربي الذي زار مصر في العصر الأيوبي في عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب وقد بشع في وصف جدرانه السوداء التي يعلوها الغبار والسناج.
- ومن العمائر الهامة التي لحقت بالمسجد بعد ذلك عمارة الأمير سلار 703هـ/1303م ثم عمارة الأمير مراد بك التي اشرنا لها سابقاً والتي تم فيها هدم القسم الداخلي من المسجد واعادة بنائه بسبب ميل عمده وتهاوي ايواناته.

- **المساجد: المسجد الجامع بالقيروان**

- أنشأه عقبة بن نافع وشرع في تأسيسه منذ عام 50هـ/670م
- تعرض المسجد لكثير من أعمال التوسعة والتجديد في العهود اللاحقة حيث أعيد بناءه في عهد بشر بن صفوان ثم اعيد بنائه مرة أخرى في عهد زيادة الله بن الأغلب 221هـ/836هـ واقيمت له في عهد زيادة الله قبة مفصصة تتقدم المحراب ثم زين وجه المحراب في عهد أبي ابراهيم أحمد بتربيعات من الخزف ذي البريق المعدني من صناعة بغداد. وفي عهد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب أقيمت القبة الثانية عند مدخل المحراب وعرفت بقبة البهو. وقد أضيفت للمسجد اضافات عديدة في العصر الفاطمي وعصر بني زير الصنهاجيين وفي عهد المعز بن باديس وعلى الأخص في عصر الحفصيين.
- ولعل أول ما يجتذب النظر في هذا المسجد الصومعة التي تتكون من ثلاثة طوابق متراجعة ومتدرجة في الضخامة وتنتهي من أعلى بقبة مفصصة وهي من إنشاء والي أفريقيا بشر بن صفوان بين عامي 105-109ه. وأهم عناصر البناء في الجامع قبتا المحراب والبهو.

- **المساجد: الجامع الأموي بدمشق**

- عندما افتتح المسلمون دمشق سنة 14ه شاركوا نصارى دمشق كنيستهم المعروفة بكنيسة يوحنا المعمدان فأقاموا في جانب منها مسجداً يؤذن فيه لصلواتهم. وظلت الكنيسة قائمة إلى أن انتزعها الوليد بن عبد الملك من أصحابها وهدمها وأقام على انقاضها المسجد الأموي في الفترة 88-96ه /707-715م.
- ويتخذ المسجد شكل مستطيل ويتوسطه صحن مكشوف وتحيط به مجنبات من جوانبه الشرقي والغربي والشمالي، ويتألف بيت الصلاة من ثلاثة أروقة طولية تمتد من المشرق إلى المغرب بحذاء جدار القبلة وتقوم عند منتصفه قبة تعرف بقبة النسر وأسقف المسجد جميعاً منشورية الشكل.

- وتستمد ظلة القبلة نورها من نوافذ مفتوحة في جداريه الشمالي والجنوبي. ويتوسط المسجد بيت المال وهو بناء مثمن الشكل قائم على ثمانية أعمدة من الرخام كسيت جدرانه بالفسيفساء المذهبة.
- وكانت بالمسجد أربعة أبراج اتخذت مآذن للمسجد عرفت احداها بمئذنة العروس والأخرى مئذنة عيسى أما المئذنة الغربية فهي أجمل المآذن و تشير الكتابات المنقوشة عليها أنها جددت في أيام السلطان الأشرف قايتباي أثر حريق تعرضت له.
- وكانت جدران المسجد مكسوة بزخارف من الفصوص والفسيفساء البيزنطية تشمل قصوراً وأشجاراً وتوريقات رائعة الجمال.

- **المساجد: المسجد الجامع بقرطبة**

– عندما افتتح المسلمون الأندلس شاطروا نصارى قرطبة كنيستهم المعروفة بشفت بنجت وأقاموا في فنائها سقائف للصلاة أخذت تتزايد بتزايد عدد المسلمين في قرطبة. وعندما آلت الإمارة إلى عبد الرحمن بن معاوية 138 ه وأسس دولة بني أمية بالأندلس عزم على انشاء مسجد جامع يتسع للاعداد المتزايدة من المسلمين ونجح في الحصول على موافقة نصارى قرطبة على التخلي عن النصف الثاني من كنيستهم مقابل 80 ألف دينار. ومن ثم شرع في بناء المسجد على انقاض الكنيسة وتم بناؤه في 170ه.
– يتألف بيت الصلاة من تسع بلاطات (أروقة) على جدار القبلة يفصل بينها بواتك عقودها على طابقين: الأدنى على شكل حدوة الفرس تربط بين رؤوس الأعمدة والعليا نصف دائرة تحمل الأسقف الخشبية.
– وعمد المهندسون إلى اضفاء حلية معمارية بسيطة تعين في اسباغ مسحة جمالية على بنيان المسجد فاستخدوا قوالب الآجر الأحمر مع كتل الحجارة الصفراء في تشكيل سنجات العقود على التعاقب، ويعتبر ذلك ابتكاراً أصيلاً لم يسبق إليه فن من الفنون السابقة على جامع قرطبة.
– توفي الأمير عبد الرحمن قبل اكتمال كل العناصر المعمارية فأتم ابنه وخليفته هشام الرضا (172-180ه) ما تبقى من أعمال فأقام للمسجد صومعة مربعة الشكل في منتصف الجدار الشمالي للمسجد كما أقام مجنبات للصحن وسقيفة لصلوات النساء ومكان للوضوء في منتصف الصحن.
– وقد خضع المسجد لإضافات وزيادات في العهود اللاحقة فزيد في زمن عبد الرحمن الأوسط (206-238ه) وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر وفي عهد الحكم المستنصر بالله أضيف إلى بيت الصلاة الزيادة الثانية الكبرى التي أعطت للجامع فخامته وعظمته في عام 354ه. وآخر الزيادات هي الزيادة العامرية التي تمت على يد المنصور محمد بن أبي عامر الذي أضاف إلى المسجد من جهته الشرقية ثمان بلاطات فاصبح لبيت الصلاة بعد هذه الزيادة 19 بلاطاً.
– يعتبر مسجد قرطبة من أعظم مساجد الإسلام كبر مساحة وتقانة بنية وجمال صورة ومنه استمدت العمارة الدينية في الأندلس والمغرب كل مقوماتها بل أن أثر في نظام القبوات الرومانسكية في إسبانيا المسيحية وفرنسا كما أثر على مساجد المرابطين في الأندلس والمغرب ووصلت تأثيراته إلى مصر في عصر المماليك ويتمثل ذلك في جامع ابن طولون.

تدريبات

- **تحدث/ تحدثي عن عمارة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة**
- **تم تأسيس المسجد الجامع بالقيروان بواسطة:**

أ. عبد الملك بن مروان
ب. الوليد بن عبد الملك
ج. عقبة بن نافع
د. عبد الرحمن بن معاوية

- **تم انشاء جامع عمرو بن العاص في عام:**

أ. 439ه/1048م
ب. 55ه/674م
ج. 21ه/642م
د. 92ه/710م

- **أول من استعمل ربط الشرايين لوقف النزيف من العلماء المسلمين هو:**

أ. ابن سيناء
ب. ابن زهر
ج. الزهرازي
د. ابن النفيس